وفيما يكتب عنها هو التالي: «أجد التهجّم من السخف أو البذاءة بحيث أرفض إرهاق نفسي بمنازلة السخفاء والبذيئين، وأجد المدح، إن كان ثمة مدح، مبنياً في الأغلب على أسس مغلوطة يصعب علـيَّ تصحيحها... فلنترك الأمور تأخذ مجراها. بعد عشرين سنة لعل الناس سيعرفون من المخطىء حقاً، ومن المصيب».

متواضع. أليس كذلك؟

وهو ثري، ولكنه «جعل من الكثيرين أغنياء... وقنع هو بالقليل...». كما كان شديد الكرم. وله عشرات العشيقات الفاخرات. وهو ذو فحولة جنسية خارقة، وقوة عضلية هائلة، وثقافة عجيبة... وهذا غيض من فيض. استطاع، وإن يكن بشكل غير مقنع، أن يقتل مئات الصهاينة، ولم يستغرق ذلك منه إلا وقتاً قصيراً.

وحين يختفي وليد، تنكشف لنا حقيقة هامة هي: كل من عرف وليد نسي همومه الخاصة، وظروفه، ومشاغله، وأصبح وليد هو الهم والشاغل والحياة كلها. الشعار الذي يرفعه الجميع: حياتنا من أجل وليد. هنالك نساء فاتنات لا يفكّرن في شيء إلا في جسد وليد، حضور وليد، حديث وليد. الرجال كلهم، تقريباً، مشغولون بتأليف كتب عن وليد؛ وكذلك وصال ومريم الصفّار. الجميع ذوات مستلبة، حيوات ملقاة عند أقدام وليد: الدكتور طارق لا يمانع كثيراً في أن تكون أخته، بنت الوزير السابق، واحدة من عشيقات وليد. ووصال لا تمانع، حين تغيب عنه بضع ساعات، أن يقيم علاقة جنسية مع جنان التامر. والإثنتان لا تمانعان في أن يكون على صلة بالأستاذة الجامعية الفاتنة مريم الصفّار. الرجل ليس عنده وقت يضيّعه.

هذه صورة سريعة وليست شاملة، بالطبع، لوليد مسعود كما تقدّمه لنا الرواية.

نرجسية الشكل الروائي

إن كنت قد رسمت صورة كاريكاتورية، لشخصية وليد مسعود، فذلك لم يكن ما فعلته الرواية. إذ أنها، أي الرواية، صاغت من هذه المعطيات الكاريكاتورية صورة للفلسطيني البطل ــ الأسطورة. وهي، حين فعلت ذلك بجدية بالغة، قد وجدت الشكل، أو المعمار الفني المناسب لهذه الصياغة. وعندما أطلق على هذا المعمار صفة النرجسية، فأنا أستعمله كاستعارة، لمصطلح معروف في علم النفس. ولكننا، عندما نمضي في تحليل الرواية، سوف نرى أن هذه الإستعارة قد تحوّلت إلى واقع حقيقي، وان النرجسية هي رؤية الفنان، وهي، أيضاً، المضمون الإنفعالي لهذه الرواية.

لنبدأ بالمعمار الروائي.

هنالك مجموعة من الشخصيات اعتزمت أن تؤلّف كتباً، أو تروي ذكرياتها وانطباعاتها وحنينها إلى وليد مسعود. وحين يتحدّث وليد مسعود، فليلقي بعض الأضواء، أو ليقدّم بعض الإيضاحات عن حياته. وهو أكثر الرواة اعتدالاً، وأقلّهم حماساً. بل ان انشغال هذه الشخصيات بوليد، يفوق كثيراً انشغال وليد بذاته.